

الفصل الثامن

مدرسة التاريخ الحديث في القرنين التاسع عشر والعشرين

ارتبطت حركة التأليف التاريخي في مصر قبيل ظهور المدرسة التاريخية الحديثة بالاهتمام بذكر سير العظماء وغرائب الحوادث وتاريخ الملوك والسياسة والحكام والافاضة في التعرض لمولدهم وذكر سيرتهم الذاتية من حيث بيان نشأتهم ووصف حفلات زفافهم والاسهاب في ذكر روحاتهم وغدواتهم ، وابرار محاسنهم وتبرير اخطائهم ، حتى مظاهر الابهة والفخامة التي كانوا يحاطون بها عقب وفاتهم لم يغفلوها بل قاموا بطلائها بطلاء مذهب اما تاريخ الشعوب والامم ، وتصوير مشاعر الناس على أسس من الحق وعدم الانحياز لارضاء الحاكمين أو التلق لهم فلم يحظ بمثل هذا الاهتمام ، ولم تسلط الأضواء على احوال الناس وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية ، على الرغم من أن الشعوب هي التي صنعت التاريخ ، وكانت الطاقة الحقيقية له حتى جعلته يتوهج أو يخبو ولم يكن الملك أو الحاكم الا واجهة تعبر عن ذلك .

يضاف الى ذلك أن هؤلاء المؤرخين لم يسخروا طاقاتهم لخدمة مصالح وطنهم على أسس من الحق والحكم على الوقائع بطريقة موضوعية . واستمر الحال على هذا النوال فترة حتى برزت النهضة التاريخية الحديثة، واخذ المؤرخون في توجيه جهودهم الى تاريخ حياة الشعوب واحوالها بما فيها من مباهج ومآس ، والى اتجاهاتهم الفكرية وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ، ومظاهر حياتهم المختلفة بخيرها وشرها حتى صار تاريخ الملوك والحكام لا يذكر الا من خلال الحديث عن شعوبهم .

ولما كانت الركائز السياسية في كتابة التاريخ تتمثل في الصدق والموضوعية وهيئة السبل كلها للحق فقد بدأ المؤرخ المصري عبد الرحمن

«الجبرتي»^(١) في سلوك هذا الاتجاه نذكر في كتابيه الهامين « عجائب الآثار في التراجم والأخبار »^(٢) و « مظهر التقديس بذهاب دوله الفرنسيين »^(٣) الحقائق التاريخية دون مواراة او مجاملة لحاكم او لغيره ، وعالج مشاكل الحياة والمجتمع المصرى معالجة البصير بالأبور ، وحكم عليها حكما مقبولا مما جعل البعض يصف ما كتبه بأنه « أعظم تواريخ مصر في القرنين الثانى عشر والثالث عشر » الهجريين^(٤) . وانه تاريخ ممتاز للحوادث التى وقعت في مصر في القرنين الثانى عشر والثالث عشر .

(١) حبشى الأصل مصرى الوطن ، نشأ في بيت علم وثناء ، وكان بيت والده موئل العلماء ومقصد الكبراء ، وكان لنشأته في بيئة علمية دينية ما جعل كتابته تتسم بسمة مشايخ العصر وقد عاش الجبرتي في عصر يمكن وصفه بأنه عصر انتقال مصر من حياة العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، ومن هنا صور فيما كتبه مصر عند مفترق الطرق ، وقدم لنا المرآة التى نرى على صفحاتها الانتقال من عالم حكم عليه بالزوال الى عالم جديد كان لابد من الدخول فيه .

من تقديم شفيق غربال لكتاب عجائب الآثار الذى قام بتحقيقه نخبة من رجالات التربية والتعليم ونشر في عام ١٩٥٨ .

(٢) طبع عدة طبعات كانت اولها في مطبعة بولاق عام ١٢٩٧ هـ والثانية في المطبعة الشرفية في عام ١٣٢٣ هـ وكتناهما في اربعة اجزاء ، ثم توالى بعد ذلك طبعه . وترجم هذا الكتاب الى الفرنسية في تسعة اجزاء في عام ١٨٨٨ وقامت وزارة التربية والتعليم بتحقيقه تحت اشراف المرحوم محمد شفيق غربال ونشرته في عام ١٩٥٨ .

(٣) يؤرخ هذا الكتاب للحملة الفرنسية على مصر ، وكان الجبرتي قد اهداه الى يوسف باشا القائد العثمانى الذى دخل القاهرة في اعقاب خروج الفرنسيين منها . وقد قامت وزارة التربية والتعليم بنشره وتحقيقه في عام ١٩٦١ .

(٤) راجع ما كتبه « مكدونالد Macdonald في ترجمته للجبرتي في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة « جبرتي » . وما كتبه لين في كتابه Modern, Egyptian والجبرتي سجل تاريخه بطريقة الحوليات طبقا لمنهج حديث يتسم بالدقة والموضوعية .

ويمكن ان نرجع ذلك الى ما يلى :

١ — ان ما كتبه الجبرى يعد وثيقة هامة حول التأثير الموضوعى للحملة الفرنسية على مصر .

٢ — أنه يقدم صورة واقعية للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت سائدة بين أفراد المجتمع المصرى فى ذلك الوقت ومدى ما يكنه أفراد الشعب المصرى للمالك من كراهية .

٣ — موضوعية الجبرى فى كتابته فعلى الرغم من كراهيته للفرنسيين فانه كان يشيد بالمظاهر الايجابية فى سياستهم مثل فكرة المساواة بين الناس أمام القانون ورفضهم للسخره وتشكيلهم للدبوان واهتمامهم بصداغة النظام القضائى وعدالتهم فى الاحكام خاصة اثناء محاكمتهم أنسليمان الحلى قاتل كبير .

٤ — انتقاده لسياسة محمد على فى مصر ، وموقفه من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، على الرغم من انه يعلم جيدا ان ذلك سيسبب له المتاعب ، وقد يعرض حياته ، وحياة أسرته للخطر . ومن المعروف أن ذلك . قد جلب عليه الضرر البالغ ففقد ابنه خليل الذى قتله جنود محمد على اثناء صلاة الفجر ثم فقد بصره حزنا وكمدا على ابنه ، بضائه الى ذلك أن منزلة احرق بعد وفاته بسبب كتاباته المعادية لمحمد على ونتيجة لذلك نفر المصريون من كتابة تاريخهم الحديث حتى لا يقعوا تحت طائلة اضهاد أسرة محمد على كما حدث الجبرى ، وكرحت أسرة محمد على أيضا أن يشتغل المصريون بدراسة تاريخهم الحديث ، وخاصة أنهم كانوا يريدون الا يدون من تاريخهم سوى ما بروقهم ، وان يكتب المؤرخ التاريخ على الصورة التى ترضيهم ولا تغضبهم .

ومن هنا ابتعد المصريون عن كتابة تاريخ بلادهم السياسى واخذ بعضهم فى تنمية ميوله وثقافته عن طريق ترجمة بعض الكتب التى تغطى تاريخ العالم منذ أقدم العصور أو التى تتطرق الى الأمور الثقافية والتربوية

والأدبية كما فعل رفاعة الطهطاوى وتلاميذه^(٥) فقد أصدر رفاعة بجانب المؤلفات التى ترجبها هو وتلاميذه عدة مؤلفات مشهورة حاول فيها قدر الامكان عدم التعرض لواقع مصر المعاصر او لأسرة محمد على فتطرق للكتابة فى تاريخ مصر القديم وفى السيرة النبوية فكتب فى تاريخ القديم « انوار توفيق الجليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل » وفيه تعرض لعصور الفراعنة والبطالة والرومان والبيزنطيين وختمه بالفتح العربى لمصر وكتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا بعنوان « سيرة ساكن الحجاز » تتبع فيه حياة الرسول منذ مولده الى وفاته .

ولرفاعة غير هذين الكتابين مؤلفات لها قيمتها التاريخية فحول رحلته الى باريس كتب « تخلص الابرز فى تلخيص باريس » وحول ما يخص آداب عصره وتربية الناشئة كتب « مناهج الالباب المصرية فى مباحج الآداب العصرية » و « المرشد الأمين فى تهذيب البنات والبنين » .

هذا الى جانب اصداره لأول مجلة ثقافية علمية تصدر فى مصر فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بالاشتراك مع على باشا مبارك وهى « مجلة روضة المدارس المصرية » التى صدر العدد الأول منها فى الخامس عشر من المحرم عام ١٢٨٧ هـ الموافق إبريل ١٨٧٠ م والتى كانت تلرح تساؤلات عدة أهمها : على أى منهج يكون تحول مصر الحضارى ؟ هل نعود الى الماضى وننعم بالمعيش فى فردوسه المنقود ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نغترق قفزا الى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ؟ وكان الجواب حاضرا تجسده شخصية رفاعة الطهطاوى الذى كان ثرة ناضجة من ثمار امتزاج الماضى بالحاضر ، وتكوين مركب جديد فيه انصر ما فى الماضى من صفحات ، واعذب فى الحاضر من منجزات^(٦) .

(٥) للتفاصيل انظر جمال الشيال : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥١ ، ص ١٥١ — ١٥٤ .

(٦) محمد عبد الغنى وعبد العزيز الدسوقي : روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ص ١٣ .

كما انكب بعضهم على دراسة تاريخ مصر العمرانى والاجتماعى والتعليمى كما فعل على مبارك فى كتابه « الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » (٧) . والذى يعد من اهم المصادر فى دراسة تاريخ مصر الاجتماعى فى القرن التاسع عشر هذا الى جانب ان انشاء مجلة روضة المدارس كانت من وحى على مبارك وثمار تفكيره حين كان وزيرا للمعارف وهو الذى عهد الى رفاعة الطهطاوى بأن تكون تحت نظارته .

ومن المعروف ان هذه المجلة اهتمت بالتاريخ وحرصت على نشر الجداول التاريخية للوقائع العالمية الشهيرة والحوادث الكبيرة ، كما تطرقت فى موضوعاتها الى بيان سلاطين آل عثمان الى عهد السلطان عبد المجيد خان .

يضاف الى ذلك ان على مبارك ألف كتباً عديدة فى العلوم والثقافة منها « تقريب الهندسة » ، « ورواية علم الدين » (٨) وكتاب « حقائق الاخبار فى اوصاف البحار » (٩) وكتاب « تنوير الانعام فى تغذى الاجسام » وكتاب « خواص الأعداد » وسارت الامور على هذا المنوال

(٧) أراد على مبارك أن يكمل فى هذا الكتاب ما كتبه المقرئى فى خطه ، وهو عبارة عن موسوعة هامة تضم العديد من التراجم للاعلام ، كما تتناول معلومات هامة عن القرى والمدن المصرية بما فيها من مؤسسات دينية وثقافية خلال القرن التاسع عشر .

(٨) قصة فى اربعة مجلدات قسمت الى مسامرات بلغت ١٢٥ مسامرة وتدور حول رجل ازهرى تتلمذ عليه مستشرق انجليزى تعلم منه العربية وعلمه الانجليزية وسافر معه الى انجلترا ومن خلال ذلك يرصد على مبارك اهمية الاحتكاك الحضارى بين الشعوب .

(٩) طبع فى مطبعة وادى النيل ، ويبلغ عدد صفحاته ٨١ صفحة .

لفترة فكتب اسماعيل سرهنك ^(١٠) حقائق الاخبار عن دول البحار تعرض فيه لبعض الدول البحرية القديمة والحديثة ، فتكلم عن موقعها الجغرافى وأرخ لثغورها الحربية والتجارية ثم تعرض لتأسيسها ومشاهير ملوكها ، وما عاصروهم من الأحداث ولعل أهم أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الثانى الذى انفرد تاريخ مصر بالقسط الأكبر منه . . وترجع أهميته الى أنه ملئ بالبيانات والاحصاءات والوثائق الهامة هذا الى جانب تعرضه لتراجم عديدة لمشاهير البحرية والجيش المصرى فى القرن التاسع عشر . وقد ساعد سرهنك فى تأليف هذا الكتاب ثقافته العسكرية ودراسته البحرية لعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات وفن الملاحة هذا الى جانب استيعابه للعديد من اللغات ومن أهمها العربية والتركية والانجليزية والفرنسية .

ونتيجة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مسرت بها مصر فى أواخر عصر اسماعيل والاحتكاك المباشر بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب ثم حضور جمال الدين الأفغانى الى مصر ، وظهور الصحف السياسية ، كان لكل ذلك أكبر الأثر فى ظهور طبقة من المصريين البارزين فى مجالات الفكر والسياسة والزعامة أمثال محمد عبده وعبد الله النديم والبارودى ، وأحمد عرابى ، ومصطفى كامل ، ومحمد فريد وغيرهم فبدروا بذور النهضة وأعدوا خمائرها وقامت على اكتناهم الحركة الوطنية المصرية وبدعوا يكتبون فيما يجيش فى صدورهم من موضوعات سياسية وطنية ، فكان لذلك اثره فى ظهور ثورة فكرية ، والى تطلع الناس الى الحرية والنظم الدستورية ، وقد ظهر ذلك فى أواخر عصر اسماعيل ثم اتسع مداه فى أوائل عصر توفيق وبخاصة فى أثناء الثورة العرابية فبدأ هؤلاء يكتبون عما يعانیه وطنهم من آلام ، وما يجيش فى صدره من

(١٠) ولد فى عام ١٨٧٦ والتحق بالمدرسة البحرية بعد اتمام دراسته الابتدائية ، وتخرج ضابطاً منها ، وتولى قيادة كثير من سفن الاسطول المصرى ، وشارك فى العديد من العمليات الحربية البحرية .

(١١) يتكون من ثلاثة أجزاء طبع الجزء الاول فى مطبعة بولاق عام ١٨٩٦ وطبع الجزء الثانى فى عام ١٨٩٨ أما الجزء الثالث فقد طبع فى عام ١٩٢٣ أى بعد صدور كتاب على مبارك « حقائق الأخبار فى أوصاف البحار » بربع قرن تقريباً .

آمال بهدف حفز الهمم وإيقاظ العقول ، وتنقية الوعي الوطنى لدى أبناء الشعب المصرى فكتب محمد عبده « تاريخ أسباب الثورة العربية » وكتب أحمد عرابى « كشف الستار عن سر الأسرار » وكتب عبد الله النديم مقالاته اللاذعة فى جرائد « التنكييت والتبكييت » و « الطوائف » و « الأستاذ » ومؤلفاته الأخرى ومنها « تاريخ مصر فى هذا العصر » و « كان ويكون » و « المسامير » و « سلافة النديم » وكتب محمود زهيمى المهندس فى منفاه « البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الأوائل والآخر » وقد دافع هؤلاء القادة عن الثورة وبرروا أسباب فشلها كما هاجموا التدخل الأجنبى لبلادهم ، ثم تبعهم فى ذلك من تحل عبء الكفاح من بعدهم فكتب مصطفى كامل الى جانب مذكراته العديد من المؤلفات منها « المسألة الشرقية » و « بلاد الشمس المشرقة » (١٢) وكتب محمد فريد بالإضافة الى مذكراته « تاريخ الدولة العلية العثمانية » و « البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية » ويتضح من هذه الكتابات أن مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من رجالات الحزب الوطنى قد اتخذوا من دراستهم القانونية ومن وقائع التاريخ المصرى حججا لاثبات عدم شرعية الاحتلال البريطانى ، وتبعية مصر للدولة العثمانية .

وجملة القول أن كتابات ومذكرات قادة الثورة العربية وزعماء الحزب الوطنى كان لها اكبر الأثر فى تنمية الوعي التاريخى لدى الشعب المصرى ، وخصوصا أنه فى أعقاب الاحتلال الانجليزى لمصر تخرج الطلاب من المدارس العالية وهم لا يعرفون من تاريخ بلادهم سوى النذر اليسير حتى المناهج التاريخية التى لقيت لهم ركزت اهتمامها على الفسرب أكثر من عنايتها بتاريخ مصر وحضارتها وكان التاريخ المصرى يعرض على الطلاب عرضا جانبا مختصرا بشكل مخل دون تناسق أو ارتباط بين أجزائه المختلفة وبقي الحال على ذلك حتى ظهرت الاحزاب السياسية فى مصر وأخذ تأثير العاطفة السياسية لدى بعض الكتاب يدفعهم الى التأثر بلون من ألوان الحزبية ، فيمدح هذا حزبه ويبرر ذاك موافقه ثم يأتى كاتب آخر ويذم هذا الحزب وينهمه بالتقصير ، وقد ساعد على

استمرار هذه النزعة غير العلمية أن مدرسة التاريخ الحديث لم تقم في بداية أمرها على أكتاف مؤرخين متخصصين في كتابة التاريخ ودراسته فباستثناء عبد الرحمن الجبرتي ورفاعة الطهطاوى قامت هذه المدرسة على أكتاف الهواة الذين كتبوا التاريخ المصرى اشباعا لرغبة ، لا التزاما بمهنة فمثلا نجد أن عبد الرحمن الرافعى الذى كتب العديد من المؤلفات في تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية وحتى ثورة ٢٣ يوليو كانت مهنته الرئيسية هى المحاماة ، وينطبق ذلك أيضا على بعض زعماء الحزب الوطنى أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد فقد كانا من الحقوقيين أيضا ومع ذلك كتبوا ما أثار الطريق لحقبة هامة من تاريخ حركة الكفاح الوطنى في مصر في بدايات القرن العشرين والمتمثلة في تاريخ الحزب الوطنى بصفة خاصة والأدلة على ذلك واضحة نذكر منها .

١ - أن الرافعى عندما بدأ مشروعه المهم في كتابه موسوعة تاريخ مصر^(١٣) لم يكن يهدف في المقام الأول سوى الترجمة للزعيم الوطنى مصطفى

(١٣) مؤلفات الرافعى فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر عديدة نذكر منها .

(أ) تاريخ الحركة القومية (جزآن) ويتضمن بدايات ظهور الحركة القومية في مصر والمقاومة الشعبية التى واجهت الحملة الفرنسية وتاريخ مصر القومى الى ولاية محمد على .

(ب) عصر محمد على .

(ت) عصر اسماعيل (جزآن) ويشتمل على عهد عباس وسعيد واسماعيل .

(ث) الثورة العربية والاحتلال الانجليزى .

(ج) مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٨٩٢ الى ١٩٠٨ .

(ح) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ويشتمل على تاريخ مصر القومى من عام ١٩٠٨ الى عام ١٩١٩ .

(ذ) ثورة سنة ١٩١٩ ويشتمل على تاريخ مصر القومى من ١٩١٩ الى ١٩٢١ .

(د) فى أعقاب الثورة المصرية (ثلاثة أجزاء) ويشتمل على تساريخ مصر القومى من ١٩٢١ الى عام ١٩٥١ .

(ز) مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

كامل وللحزب الوطنى ومن هنا رأى ان يبدأ بالحركة الوطنية فى مصر منذ بدايتها حتى اذا انتهى الى عصر مصطفى كامل كان من اليسير عليه ان يضعه فى مكانه اللائق به بين زعماء الحركة الوطنية ، ومن هنا بدأ كتابته بعرض لتطور الحركة القومية منذ بداية الحملة الفرنسية ١٧٩٨ والمقاومة الشعبية الباسلة للاحتلال الفرنسى وانتهى الى الكتابة عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وطريقة الرافعى فى الكتابة التاريخية هى تتبع الحوادث تتبعاً زمنياً ، والحكم عليها بطريقة الميزان ذى الكفتين أى طريقة وضع الحسنات فى احدى كفتى الميزان والسيئات فى الكفة الأخرى .

ومما يؤخذ على هذه الطريقة ان العدالة فى الاحكام التاريخية لا تتحقق بالسهولة التى يراها الرافعى ولذلك نقد اتسمت احكامه أحيانا بالبعد عن الموضوعية والانصاف .

يضاف الى ذلك ان بعض كتاباته تأثرت بلون من اللون الحزبية ، فكل ما فعله الحزب الوطنى من وجهة نظره صحيح ، وما سواه من الأحزاب فانه يعامل بحسب مواقفه من الحزب الوطنى وزعاماته وآرائه فمثلا لم يكن الرافعى يرى الراى القائل بالمفاوضة لتسوية العلاقات المصرية البريطانية ، وينكر ذلك على الوفد وبعائبه أحيانا ، ويعنفه أحيانا أخرى وذلك لأن أحد مبادئ الحزب الوطنى كانت لا مفاوضة الا بعد الجلاء . والى جانب ذلك كان الرافعى ينظر الى حزب الأحرار الدستوريين على أن رجاله وصوليون ، ونفعيون ورجعيون .

ومع كل ذلك ، فمن المنطقى أن نعترف بالدور البارز الذى أنار به الرافعى طريق المعرفة التاريخية لجيل من الشباب المصريين وبالمجهود الضخم الذى قدمه من أجل تاريخ أمته فقد بقيت مؤلفاته حوالى نصف قرن مرجعا هاما لكل من يرغب فى معرفة تاريخ الوطنية المصرية كما يحدد للرافعى انه كان أول من أهتم بذكر أسماء الشهداء والفتحايا من أبناء الشعب

المصرى ^(١٤) وإلى جانب ذلك ظهرت طبقة وجدت من فراغها وإمكاناتها المادية ما يسمح لها بالكتابة في التاريخ ومن هؤلاء عمر طوسون ^(١٥) ، وأحمد شفيق ^(١٦) وأحمد زكي ^(١٧) فكتب عمر طوسون عدة مؤلفات في تاريخ مصر بصفة عامة وإنجازات أسرة محمد على بصفة خاصة ومن أهم هذه المؤلفات .

- ١ — الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد على باشا .
- ٢ — مالية مصر من عهد الفراغة حتى الآن (١٩٣١ م) .
- ٣ — البعثات العلمية في عهد محمد على باشا وفي عهدي عباس وسعيد .
- ٤ — المسألة السودانية .
- ٥ — تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها ١٨٦٩ — ١٨٨٩ م (٣ أجزاء) .
- ٦ — ١١ يوليو ١٨٨٢ (وهو يوم ضرب الاسطول الانجليزى للاسكندرية) .
- ٧ — صفحة من تاريخ مصر والجيش البرى والبحرى .

(١٤) محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ص ١٥ .

(١٥) ابن محمد سعيد بن محمد على . ولد بالاسكندرية وتعلم في سويسرا ، وأزر الحركة الوطنية بقلبه وماله .

(١٦) ولد بالقاهرة في عام ١٨٦٠ ، وتخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس ، عين وكيلا للجامعة الاهلية كما تولى رئاسة الديوان الخديوى في عهد عباس الثانى .

(١٧) ولد بالاسكندرية في عام ١٢٨٤ هـ وتلقى علومه العالية بمدرسة الادارة والحقوق ، وفي عام ١٨٨٢ عين مترجما في وزارة الداخلية ، وتلقى أعمال التحرير والترجمة في الوقائع المصرية ، ثم عين في مجلس الوزراء بدرجة سكرتير أول ، وانعم عليه بالباشوية ، وقد ظل طوال حياته منكباً على متابعة بحوثه التاريخية .

- ٨ — أعمال الجيش المصرى فى المكسيك .
 - ٩ — كلمات فى سبيل مصر .
 - ١٠ — تاريخ الاسكندرية القديم وترعة المحمودية .
 - ١١ — وادى النطرون وربهانه واديرته .
 - ١٢ — مختصر تاريخ البطارقة .
 - ١٣ — ضحايا مصر فى السودان وخفايا السياسة الانجليزية .
 - ١٤ — الأطلس التاريخى الجغرافى لمصر السفلى منذ الفتح الإسلامى الى الآن .
 - ١٥ — فتح دارفور .
 - ١٦ — الاسكندرية فى سنة ١٨٦٨ (١٨) .
- وقد صنف عمر طوسون مؤلفاته بالفرنسية ، والعربية ويبدو انه استعان على تأليفها ببعض الكتاب فى ذلك الوقت (١٩) .
- وكتب أحمد شفيق باشا أيضا عدة مؤلفات فى تاريخ مصر الحديث من أبرزها :
- ١ — مذكراتى فى نصف قرن .
 - ٢ — حوليات مصر السياسية .
 - ٣ — أعمالى بعد مذكراتى .
- وبالنسبة لمذكرات شفيق فقد تناولت الفترة الواقعة بين ١٨٧٣ — ١٩٢٣ وهى فى ثلاثة اجزاء تناول الاول منها نهاية عصر اسماعيل الى انتهاء حكم توفيق ، وتناول الثانى فترة حكم الخديوى عباس الثانى حتى عزله أما الجزء الثالث فقد امتد الى عام ١٩٢٣ .
-
- (١٨) للتفاصيل انظر قلينى فهمى باشا : عمر طوسون — حياته ، آثاره ، أعماله .
- (١٩) خير الدين الزركلى : الاعلام ج ٥ ص ٤٨ .

ولقد تميزت هذه المذكرات بالصرامة والوضوح أحيانا وبمسانده موثق الخديوى والاسرة الحاكمة أحيانا أخرى فلم يستطع أحمد شفيق على سبيل المثال التخلص من ولائه لاسرة محمد على عندما تحدث عن الثورة العربية وانهم قائدها بالفرور وبأنه كان السبب في ضياع مصر ، وعلى كل حال فوجهة النظر هذه كان يتبناها البعض في ذلك الوقت .

يضاف الى ذلك انه كان يرى في الخديو توفيق الحاكم الذى يدافع عن حقوقه الشرعية ، وفي الخديو عباس الثانى الحاكم الوطنى الذى تحالف مع الشعب المصرى ضد الانجليز .

والمذكرات كتبت في معظمها على طريقة الحوليات ، وتميزت بالعديد من الوان النشاط الاجتماعى والأدبى والسياسى وبرزت الجانب الوطنى بين أفراد الشعب .

وعلى كل حال فقد دون شفيق مذكراته عن المشاهدات والحوادث التى وقعت تحت سمعه وبصره ، ومدى مشاركته في هذه الأمور بحكم عمله في القصر الخديوى كما كشف للمؤرخين عن الكثير من الغوامض غير المعروفة ومن هنا كانت مذكراته ذات فائدة هامة لتاريخنا الحديث وعن حوليات مصر السياسية فتتكون من عشرة اجزاء جمع فيها المؤلف العديد من الوثائق والتراير والخطب السياسية مع نبذة قصيرة لتاريخ مصر منذ عصر محمد على حتى قيام الحرب العالمية الاولى ، ثم اخذ في سرد الحوادث بعد ذلك من الحرب الاولى الى عام ١٩٢٣ .

وقد قسم شفيق كل حولية من حولياته الى اثني عشر بابا كعدد الشهور ، تضمن كل باب حوادث شهر من الشهور .

ومع أن حوليات شفيق تفتقر الى المنهج العلمى بشكل لا تصلح به أن تكون تاريخا للفترة التى تعرضت لها ، فانها تعد كمادة خام موثوق فيها ، كما انه يمكن ان يطلق عليها جريدة الجرائد المعاصرة فهى

ليست دراسة ولكنها تسجيل للحوادث الجارية تستهدف تيسير الرجوع اليها (٢٠) .

اما عن كتابه « اعمالى بعد مذكراتى » فقد جاء متمما لمذكراته فتضمن العديد من الموضوعات السياسية والثقافية والاجتماعية وقد بدأه بالحديث عن المفاوضات المصرية البريطانية فتناول مفاوضات سعد زغلول ، ملئر وتبعه بالحديث عن مفاوضات عدلى — كيرزن وتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ وانتقل الى محادثات سعد مكدونالد ١٩٢٤ وغشلا ، ومشروع محمد محمود هندرسون ومعارضه الوفد له كما انتقل الى معاهدة ١٩٣٦ واعلان عن ابتهاجه لتحقيقها .

ويمضى شفيق فى الحديث عن الجوانب الاجتماعية فى القصر الملكى فتحدث عن الأفراح التى اقيمت بمناسبة زواج فاروق ، والمصاهرة التى تمت بين الاسرتين الملكيتين فى مصر وايران ، وانتقل بعد ذلك للحديث عن شئون التعليم فى مصر والبلدان العربية فيعرض رأيه بوضوح وصراحة ، واخيرا تطرق الى النظام الحزبى فى مصر موضحا عيوبه والطرق الكفيلة بعلاجه .

والكتاب فى مجمله زود التاريخ المصرى الحديث باضافات مفيدة ، خصوصا وان صاحبه تجرد فى الكثير من الاحيان من الانفعال الشخصى وان كانت الذاتية قد طغت فى بعض الاحيان على صاحبه .

وكتابات شفيق بصفة عامة هامة خاصة وان صاحبها يعتبر شاهدا عيان للكثير من حوادثها ، ومع ذلك فان حكمه على بعض الاحداث قد ارتبط بموقعه كمستول داخل القصر مما أبعدته عن الموضوعية فى بعض الاحيان ، فما كتبه عن العربابين يعوزه الكثير من اعادة النظر ، وما كتبه عن موقف عباس الثانى من الحركة الوطنية يعوزه الكثير من الوضوح ، وحديثه عن الحياة النيابية المصرية جاء مبتورا .

(٢٠) عبد العزيز رفاعى : أحمد شفيق المؤرخ ، حياته وآثاره ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ ، ص ١٤٨ .

أما عن أحمد زكى باشا فله عدة مؤلفات ، كما أن له بعض الترجمات وعن مؤلفاته نذكر :

- ١ — السفر الى المؤتمر .
 - ٢ — اسرار الترجمة .
 - ٣ — الدنيا في باريس .
 - ٤ — مصر والجغرافيا .
 - ٥ — موسوعات العلوم العربية .
 - ٦ — عجائب الاسفار في اعناق البحار .
- أما عن الكتب التى قام بترجمتها فهى عديدة نذكر منها :
- ١ — التعليم فى مصر لمؤلفه نيركامير .
 - ٢ — تاريخ الشعوب الشرقية لماسبيرو .
 - ٣ — آثار بلاد المشرق لماسبيرو .
 - ٤ — الرق فى الاسلام لأحمد شفيق باشا .
 - ٥ — ذيل الاغانى .

والى جانب ذلك فله مقالات متعددة بالعربية والفرنسية نشرت فى الصحف والمجلات .

وقد مثل أحمد زكى مصر فى بعض المؤتمرات ، وقام باحياء الكتب العربية ، فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات قام بمراجعتها بنفسه ، وأحكم صلته برجال العرب فى شتى الاقطار ، وتسمى بشيخ العروبة ، وسمى داره بيت العروبة .

(٢٠) انظر الزركلى ج ٥ ص ١٢٧ ، وعمر رضا كحالة : معجم المؤلفين بيروت ، دار المثنى ١٩٥٧ ص ٢٢٥ ، وسركيس : معجم المطبوعات صفحة ٩٧١ .

وعلى الرغم من كل هذه الجهود الطيبة التى بذلها هؤلاء ينبغى القول انه بالرغم من أنه يحلو للكثيرين من غير المؤرخين الكتابة فى التاريخ ، فان الدراسات التاريخية الحقبة ليس من السهل كتابتها ، وقد كان تولستوى على حق حين ذكر فى رائعته « الحرب والسلام » ان التاريخ هو دراسة حياة الشعوب والبشر ، وان الامساك بهذه الحياة ووضعها فى كلمات أمر صعب بل قد يكون مستحيلا .

وقد ظلت الكتابات التاريخية على هذا النحو الى ان وصل الأمير أحمد مؤاد الى سدة الحكم فى مصر ، فشحج على بزوغ حركة النهضة التاريخية فى مصر ، بهدف الاشارة بجديه ابراهيم ومحمد على ووالده اسماعيل ، واحياء مركز اسرته بعد تدهورها فى نظير المصريين منذ أيام الخديو توفيق فبعد ان تولى الحكم وجه جل اهتمامه الى تشجيع الدراسات التاريخية فى مصر فامر بتشكيل لجنة فى عام ١٩٢٥ م برياسة الدكتور حسن باشا نشأت لجمع ما فى القصر الملكى ودار المحفوظات العمومية بالقلعة والدور الحكومية من وثائق تتعلق بتاريخ أسرته وتصنيفها (٢١) واستقدم المستشرق الفرنسى « دبنى » فى عام ١٩٢٦ لفحص الوثائق التركية وخاصة التى تتعلق بحروب الشام ، والفرمانات السلطانية الخاصة بأسرة محمد على (٢٢) وترجمتها الى العربية ، واستغل علاقته الشخصية مع رؤساء الحكومات فى اوربا ، واستنسخ تقارير قناصلهم فى مصر فى القرن التاسع عشر (٢٣) كما أمر بنقل الوثائق الخاصة بالفترة فيها بين بداية حكم محمد على وبداية الحزب العالمية الاولى من دار المحفوظات العمومية بالقلعة الى قصر عابدين فى مبنى اطلق عليه دار الوثائق السرية والمحفوظات التاريخية الملكية « بهدف اتاحة الفرصة لعدد من المؤرخين ليكتبوا تاريخ

(٢١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ ، القاهرة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى ١٩٤٩ ص ٢٤٨ .
(٢٢) محمود عباس حمودة : المرجع السابق ص ٤٠ — ٤١ .
(٢٣) اسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية — بيان بوثائق الشام — المجاد الاول ١٩٤٠ .

اسرته وفقا لتوجيهاته ورغباته (٢٤) . ولما كان الملك فؤاد لا يثق في قدرة المؤرخين المصريين على القيام بهذا العمل فقد استعان ببعض الأجانب من المؤرخين وغيرهم ، ووعدهم بالمكافآت السخية (٢٥) اذا كتبوا تاريخ أسرته بالطريقة التي يرضيها . وقد استجاب لطلبه كل من دوان Douin الفرنسي وانجلو ساماركو A.Sammarco الايطالى ، ودودول DodWell الانجليزى ، وكرابيتس Crabites الأمريكى وهانوتو Hanotau وشارلرو Charles Roux وغيرهم فكتب Douin كتابه المعنون Histoire Du Règne Du Khédive Ismail .

فى أربعة أجزاء نشرته الجمعية الجغرافية الملكية بمصر فى الفترة من ١٩٣٣ — ١٩٣٩ وأفرد فيه خمسة فصول كاملة تحت عنوان الإصلاح القضائى La Réforme Judiciaire

تحدث فيها عن جهود الخديو اسماعيل فى اصلاح القضاء المصرى والصراع الذى خاضه نوبار فى العواصم الغربية وفى الاستانة حتى تحقق له الموافقة على انشاء المحاكم المختلطة (٢٦) .

أما انجلو ساماركو فهو ايطالى اغدق عليه الملك فؤاد وانه فاروق الكثير من مظاهر الرعاية فبعد أن قدمه أحد الموظفين الايطاليين بقصر عابدين الى الملك فؤاد على أنه مؤرخ كبير يمكن الاستفادة منه فيما يريد كتابته أمر الملك فؤاد بضمه الى مجموعة كبار الأساتذة الأجانب الذين عكفوا على كتابه « موسوعة تاريخ مصر عبر العصور » وعرفت باسم Précis de L'Histoire d'Egypte

(٢٤) حموده : المرجع السابق ص ٤١ .

(٢٥) يذكر الدكتور محمد أنيس أن المؤرخ الانجليزى دودول ذكر له فى أثناء دراسته فى لندن أنه لم يتقاض سوى خمسمائة جنيه من الملك فؤاد على كتابه مؤسس مصر الحديثة ، وأنه يرى أن هذا المبلغ أقل من الجهد الذى بذل فيه .

انظر : المجلة ، نوفمبر ١٩٦١ مقال للدكتور محمد أنيس تحت عنوان شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصرى الحديث .

(٢٦) انظر الجزء الثانى من الكتاب المذكور . الفصول من السادس الى التاسع صفحات ١٨٥ — ٢٨٢ .

وقد كتب ساماركو الجزء الرابع من هذه المجموعة وتناول فيه تاريخ عباس وسعيد واسماعيل في الفترة من ١٨٤٨ الى ١٨٧٩ م وطبعه في عام ١٩٣٥ كما اعتزم وضع مجموعة ينفرد بتأليفها باسم « تاريخ مصر الحديثة » .

Histoire de L'Egypte Modern

تتناول تاريخ مصر منذ جلاء الحملة الفرنسية عن مصر في عام ١٨٠١ حتى بداية الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢ ولم يظهر من هذه المجموعة سوى الجزء الثالث الذي يسجل في معظمه سنوات حكم الخديو اسماعيل من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٨٧٥ .

وهذا الجزء ليس الا نسخة مكررة مما ورد في الجزء الرابع الذي كتبه في المجموعة السابقة الذكر مع اختلاف يسير في الصياغة اللفظية .

ويحل الدكتور الشناوى الكتابة التاريخية لهذا المؤلف فيذكر انه لما سارت في اتجاهين هما :

- ١ — الاشادة بأسرة محمد على .
- ٢ — ابراز دور ايطاليا في تحديث مصر .

والجدير بالذكر انه بعد انضمام ايطاليا الى دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية اصدرت الحكومة المصرية قرارا بابعاد هذا المؤرخ عن مصر في عام ١٩٤٠ (٢٧) .

وأما كرابيتس فكان يعمل قاضيا بالحاكم المختلطة بمصر وقد كلفه الملك فؤاد بالدفاع عن والده اسماعيل وتفنيد المزاعم التي ذهب اليها ملنر وكولفن وكرومر من انه كان مبذرا ولصا ، واذن له بالاطلاع على الوثائق المحفوظة في الخزائن الملكية وغيرها .

(٢٧) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها الجزء الرابع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٠٥٦ — ٢٠٥٨ .

وقد قام كرابيتس بهذه المهمة خير قيام وأخرج كتابه الذى ترجم تحت عنوان « اسماعيل المفتري عليه » .

وعلى الرغم من استجابة المؤرخين الأوروبيين والأمريكيين لرغبة الملك فؤاد فى تجديد تاريخ أسرته ، وتبرير أخطائها وتصرفات حكامها ، وافتقارهم الى الموضوعية أحيانا وإلى الروح الأكاديمية أحيانا أخرى لا يستطيع أحد أن ينكر أنه بفضل ما كتبه هؤلاء ظهرت مجموعة نفيسة ومجلدات متعددة — ملأت العديد من رفوف المكتبات — كشفت عن العديد من الصفحات المجهولة فى تاريخ مصر واستطاعت التأثير على المفاهيم التاريخية فى دراسة تاريخ مصر الحديثة بطريقة يصعب التخلّص منها ^(*) ، كما أنها سدت فراغا هاما فى دراسة حقبة من تاريخ مصر . ومن الملفت للنظر أنه لا أحد يدرى من الذى دفع الملك فؤاد الى القيام بهذه التجربة مع أن ثقافته لم تكن تتيح له التشكيك فى هذا العمل وعلى كل حال فقد ظلت الحركة التاريخية المصرية تسير فى ركاب الأجانب حتى عين محمد شفيق غريال فى عام ١٩٢٥ استاذ مساعدا بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) وبدأ يتدرج فى المناصب حتى شغل كرسى التاريخ الحديث فى الجامعة المصرية فى وقت كادت تكون فيه معظم الكراسى الجامعية وقفا على الأساتذة الأجانب ومن هنا بدأت عملية تهجير التاريخ المصرى ، ونقل الأشراف على الدراسات التاريخية من يد القصر والأجانب الى الجامعة ونتيجة لذلك بدأت تتكون المدرسة التاريخية المصرية التى ما زالت اشعاعاتها باقية حتى الان ، والتى صار للمؤرخين المصريين فيها لأول مرة وجهة نظر مصرية صحيحة فى كتاباتهم ، وقد بدأ الغربى الذى انبثه غريال بعلمه وخلقه يترعرع وكان من نتاج ذلك ظهور العديد من المؤرخين المصريين الأكاديميين الذين ملأوا السام التاريخ فى الجامعات المصرية والعربية واستطاعوا أن يرتقوا بمستوى الدراسات التاريخية .

وقد بدأ غريال يتصدى لتحليل أحداث وطنه تحديلا موضوعيا انتقاديا

(*) الواقع أن مصر عرفت بعض الأجانب الذين اظهروا تعاطفا واضحا تجاه الحركة الوطنية أمثال جون نينيه وبلنت وبرودلى وتيودور روز شيتين .

لا يقل أصالة وقدرة عن أفضل المستويات التاريخية في أوروبا من ناحية عمق البحث والتحليل ، وقد ساعده على ذلك تمكنه من أصول فن التاريخ ، وإدراكه الواعى لحقائق تاريخ وطنه ، وحبه العجيب للاطلاع في شتى دوائر المعرفة الانسانية ، وإيمانه الصادق بحرية الفكر .

ومع أن غربال قد تأثر بفلسفة استاذة المؤرخ الانجليزى « ارنولد توينبى » فى ربط تفسير التطور التاريخى بدور الصفوة المتميزة فى مجالات النشاط البشرى وبنظرية التحدى والاستجابة فى معالجة العلاقات بين الشرق والغرب فانه فى بعض كتاباته لم يتمسك بهذا التفسير وخاصة أنه كان يؤمن إيماناً صادقاً بحرية الفكر وباختلاف منابع الثقافة ، وهذا ما غرسه غربال فى تلاميذه فقد رفض سياسة صب القوالب والتقليد ، وتمسك بتوجيه ملكات تلاميذه وقدراتهم كل على حسب إمكاناته لذلك يمكن القول أن ما أحدثه غربال يعد منعطفاً تاريخياً فى الاتجاهات الحديثة فى دراسة التاريخ المصرى الحديث .

ومع أن مدرسة غربال قد نجحت فى تمصير التاريخ المصرى فانهما ظلت بعيدة عن مفاهيم الفكر الاشتراكى فى التاريخ ، وعن دراسة تاريخ الحركات الوطنية والجماهيرية .

وعلى كل حال فبعد أن وضع غربال القواعد وأرسى البناء ظهرت فى مصر مدارس تاريخية متنوعة فى اتجاهاتها وأفكارها وفى جامعة القاهرة ظهر الدكتور محمد مؤاد شكرى بمؤلفاته المتعددة التى ركزت على مصر فى القرن التاسع عشر ، وبإفكاره حول تفسير التاريخ حيث يرى أن تفسير التاريخ عملية مستمرة وذلك فى ضوء ما هو متجدد دائماً من تيارات فكرية ناشئة من تراكم الحقائق المستكشفة من بطون الوثائق والاسانيد والتى هى كذلك منبعثه من تطور المجتمع فى شتى مناحيه (*) .

وقد جمع الدكتور شكرى الى جانب غزارة المادة عمق الفكرة

(*) انظر كتابه : الصراع بين البرجوازية والقطاع ١٧٨٩ — ١٨٤٨

المجلد الاول .

واصلالة الراى وبراعة التحليل فكان لا يقتنع بالسطحية فى معالجة الامور . وانما يفوص فى اعماق المادة العلمية ليخرج منها الثمين من الافكار والى جانب ذلك كان استنادا معلما بكل معنى الكلمة يوجه طلابه بالراى السديد ، والعلم الواسع ، والخبرة الاصلية يعرض فكره ورايه فى ثقة العالم المتمكن من نفسه ، ويدير المناقشات والجلسات العلمية التى كان يحضرها ليفى من تلاميذه والمشتغلين بالدراسات التاريخية فى منزله بعد ظهر كل خميس يضيف خلالها من علمه ما يفتح الآفاق بين الباحثين (*) .

ومن ابرز تلاميذ مدرسة الدكتور شكرى محمود صالح منسى ، والسيد رجب حراز .

وفى جامعة القاهرة أيضا ظهرت مدرسة التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى مصر حيث تبنى الدكتور محمد أنيس هذه المدرسة ، وحاول ربط الحركة التاريخية فى مصر بابرار دور المتأومة الشعبية ورد اعتبار الشعب المصرى ، ومسيرته فى صنع الاحداث كما حاول التصدى لـ دور المدرسة الاستعمارية ، ووجه تلاميذه لدراسة الحركات الوطنية ، وثورات التحرر فى العالم العربى ، والقوى الاجتماعية كحركات الفلاحين والعمال والمثقفين .

وهن ابرز القضايا التى تعرضت لها هذه المدرسة وتجهت المتاعب من أجل تحقيقها قضية المحافظة على الوثائق المصرية وقد تمكنت من تحقيق ما يلى :

أولا : استصدار قوانين تمنع تسرب الوثائق المصرية الى الخارج

ثانيا : تأسيس مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بهدف تجميع وثائق التاريخ المصرى المعاصر من مختلف الجهات والشخصيات واتاحة الفرصة للباحثين من داخل المركز وخارجه للاستفادة بها فى اعداد دراساتهم وقد تمكن

(*) محمود صالح منسى : قناة السويس بين اتباع سان سيمون وفردينان دى دللبيس تحت عنوان « وفاء وتقدير » .

هذا المركز خلال اشراف الدكتور محمد أنيس عليه في الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧٥ من جمع الوثائق المشتتة المتعلقة بعصر الملك فؤاد وترتيبها وفهرستها ولعل أهمها تقارير الأمن والمراسلات بين البلاط الملكي وغيره من الجهات. هذا بالإضافة الى تسجيل ما لدى السياسيين القدامى من معلومات تاريخية .

هذا عن أهم المدارس التاريخية التي ظهرت في جامعة القاهرة ، أما عن جامعة عين شمس فقد تبنى الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بصفة خاصة مدرسة تاريخ العرب الحديث والمعاصر فوجّه تلاميذه في الدراسات العليا لدراسة تاريخ العرب بهدف تكوين كوادر منهم لشغل هذا التخصص ومن أبرز هؤلاء الدكتور عبد العزيز نوار والدكتور يونان لبيب والدكتور جمال زكريا .

ولعل أهم انجازات الدكتور عزت عبد الكريم كان انشاء سمنار التاريخ الحديث بجامعة عين شمس في عام ١٩٥٥ للاشراف المتواصل على أبحاث طلابه ، هذا الى جانب رئاسته للجمعية المصرية للدراسات التاريخية في الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٧٦ والتي بذل فيها من جهده ووقته ما حقق للجمعية أفضل مواسم ثقافية عرفتھا منذ انشائها .

والجدير بالذكر أنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تعرض تاريخ مصر الحديث للكثير من التشويه والتناقض ، فشوه تاريخ زعماء ما قبل الثورة وانحرف التاريخ المصرى عن مساره لفترة ، وبدأت مواكب النفاق تزحف للتسلق والتمسح بالثورة ومناهضة الحكم الملكى وكتب البعض المؤلفات لاسترضاء قادة الثورة ووضعوا انفسهم تحت تصرف الثورة لا يكتبون ولا يدرسون الا اذا كان فيما يكتبون أو يدرسون مؤازرة للسلطة السياسية . وبلغ الأمر بالبعض أن قال ان تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو ، وما قبل ذلك يجب نسيانه ، وأخذت الكتابات الملتهبة ضد أسرة محمد على تفرق الاسواق ولم يجد من طفيان هذه الظاهرة سوى أساتذة التاريخ في الجامعات المصرية الذين حاولوا موازنة الأمور ، ووضع حقبة الثورة في مسارها العام ، وتصحيح مفاهيمها . ومضت الحركة التاريخية في تصحيح المسار بمقدار ما سمحت به الأمور ، ثم أخذت تجرى

مسرعة في الاتجاه الصحيح احيانا ، وفي الاتجاه غير الصحيح احيانا أخرى، وكان لابد من وقفة لتقييم الأمور ، وقد حاول الدكتور عاصم دسوقي في دراسته الجريئة « مصر المعاصرة في كتابات المؤرخين المصريين — دراسة بين الكم والكيف »^(٣٩) القيام بهذا العمل ، وكانت النتيجة حدوث ضجة وردود فعل متشنجة ضده بين العديد من المؤرخين المصريين نتيجة لتقييمه الصريح للمدرسة التاريخية المصرية ولأبحاث بعض المؤرخين المصريين عن تاريخ مصر المعاصرة بشكل لم يرض الكثيرين منهم .

ونتيجة لذلك وجهت اليه الانتقادات اللازمة لدرجة يصعب معها قيام آخرين بتكرار هذه المحاولة خشية ان يواجهوا ما واجهه الدكتور عاصم دسوقي ، مع العلم بأن النقد العلمى الهادف — سواء أصاب فيه صاحبه أو أخطأ — يجب أن يتقبله هؤلاء بصدر رحب أو بردود هادئة تصلح المسار ، وتوجه الأمور الى الطريق الصحيح وخاصة أن المدرسة التاريخية المصرية ما تزال في حاجة الى وقفة صريحة مع نفسها لتقييم تجربتها ، والى مؤرخ جرىء يستطيع أن يضع النقاط على الحروف دون خشية من أغصاب هذا المؤرخ أو ذاك .